

## الفصل التاسع

اضطهاد الحركة الوطنية بعد مقتل بطرس غالى

١ — القوانين التي صدرت لاضطهاد الحركة الوطنية

٢ — استئناف جهاد محمد فريد في أوروبا

٣ — مقارنة بين مصطفى كامل ومحمد فريد



## ١ - القوانين التي صدرت لاضطهاد الحركة الوطنية :

بعد اغتيال بطرس غالى عرض جورست على الخديو أن يوافق على اختيار اسماعيل سرى لتولى الوزارة فرفض كما اعترض على تعيين حسين رشدى أيضا ، وطلب من جورست أن يحصر الاختيار بين سعد زغلول ومحمد سعيد ، ولما كان جورست متخوفا من سعد وشدته<sup>(١)</sup> فقد وافق على اختيار محمد سعيد ، ومن البرقية التي أرسلها جورست الى جرای بشأن هذا الموضوع يتضح أن جورست اقترح ترشيح محمد سعيد لرئاسة الوزارة ، بالرغم من أنه لم يكن على قدر كبير من التعاطف مع الاحتلال وذلك لأن تعيينه يعتبر أفضل من تعيين شخص آخر غيره<sup>(٢)</sup> ويعنى بذلك سعد زغلول .

وقد طلب جورست من وزير الخارجية البريطانية الرد برقيا وبصلة مستعجلة على هذا الاقتراح الذى قدم من الخديو ، موضحا أن الخديو تعهد بعزل محمد سعيد من هذا المنصب اذ ظهر من الممارسة عدم تعاونه مع الانجليز<sup>(٣)</sup> ، وقد رد جرای بالموافقة على تعيين محمد سعيد<sup>(٤)</sup> .

ولما كلف محمد سعيد بتشكيل الوزارة حاول تسكين نشاط الحركة الوطنية ، بأن يشرك محمد فريد معه فى الوزارة ولكن فريد رفض الاشتراك فيها بقوله « كيف يطلب منى أن أشارك فى حكم البلاد لى ظل الاحتلال ، وأنا أجاهد الاحتلال ؟ وكيف يتفق النقيضان<sup>(٥)</sup> » .

١ - مذكرات سعد زغلول كراس رقم ١٨ من ٩٢٧ .

(2) F.O 407 — 175 Part Lxxii, Gorst to Grey Cairo Feb 21, 1910

(3) Ibid

(4) F.O 407 — 175 No . 12, Grey to Gorst Feb. 22, 1910

(٥) الراعى : محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية من ٥٤ } .

وللتنكيل بالحركة الوطنية اتخذ الاحتلال من مقتل بطرس غالى  
الحجة على أن يترك الدبلوماسية جانبا فألقى جراى خطابا فى البرلمان  
فى ١٥ يونيه ١٩١٠ صرح فيه بأن سياسة حكومته تقتضى بالاحتفاظ  
باحتلال مصر لأنه من العار أن تتخلى عن المسئوليات التى نشأت  
حولنا هناك .

كما أعمت الوزارة الجديدة فى محاربة الحركة الوطنية ، فصدر  
أمر عال بثلاثة قوانين تعطى السلطة التنفيذية الصفة القانونية فى  
تصرفاتها المطلقة .

ويخص القانون الأول تهم الصحافة والمطبوعات وقد وضعه سعد  
زغلول بصفته ناظرا للحقانية ، ويقضى بإحالة تهم الصحافة والمطبوعات  
الى محكمة الجنايات<sup>(٦)</sup> بعد أن كانت تنتظرها محاكم الجنج وأن يكون  
حكمها غير قابل للاستئناف ، والسبب الذى دعا الى هذا القانون هو أن  
تهم الصحافة كانت تنتظر فى المحاكم الابتدائية والاستئناف ، لمرات  
الحكومة أن تحوّلها الى محاكم الجنايات يرهب الصحفيين من ناحية  
ويحرّمهم احدى درجات التقاضى من ناحية أخرى<sup>(٧)</sup> « وقد ذكر لويد  
أن السبب الذى دفع الحكومة الى تقييد حرية الصحافة يرجع الى تهيج  
جرائد الحزب الوطنى وخصوصا اللواء للرأى العام<sup>(٨)</sup> ، ومع أن مجلس  
شورى القوانين قد قرر بجلسة ٣٠ مايو ١٩١٠ رغبه بأغلبية الأصوات  
لمشروع القانون فإن الوزارة لم تأبه برأيه<sup>(٩)</sup> ونتيجة لذلك أرسلت

(٦) هو القانون رقم ٢٧ لسنة ١٩١٠ الصادر فى ١٦ يونيه ١٩١٠ .

(٧) الرافعى : محمد فريد ص ١٦٨ — ١٦٩ .

ويذكر لويد أن السبب فى تقييد حرية الصحافة يرجع الى كتابات اللواء  
الشديدة اللهجة .

(٨) Lloyd : Egypt Since Cromer, Vol London 1933 p. 88 — 89

(٩) محاضر جلسات مجلس شورى القوانين . دور الاعتقاد ١٩٠٩/

١٩١٠ محضر جلسة ٣٠ مايو وأول يونيه ١٩١٠ .

البرقيات من كافة أنحاء البلاد الى ديوان الخديو يحتج فيها أصحابها على ذلك القانون<sup>(١١)</sup> ويهدف القانون الثانى من منع طلاب المدارس من الاشتراك فى المظاهرات ، وذلك عن طريق تهديدهم بعقوبات مختلفة وذلك بفصل تلاميذ المدارس الابتدائية والثانوية الذين تقل درجاتهم فى المواظبة عن ٢٠ من ٣٠ خلال العام الدراسى وعدم قبولهم فى أى مدرسة أميرية أخرى ، وقد وافق مجلس شورى القوانين على ذلك واشترط أن تكون المظاهرة التى يشترك فيها التلاميذ مظاهرة سياسية .

أما القانون الثالث فهو خاص بتعديل قانون العقوبات<sup>(١٢)</sup> بحيث يعاقب بالسجن كل من اشترك فى اتفاق يقصد ارتكاب الجنايات حتى لو لم يشترك فى ارتكابها<sup>(١٣)</sup> ، وذلك لما رأته الحكومة من نقص فى قانون العقوبات عند التحقيق فى قضية مقتل بطرس غالى<sup>(١٤)</sup> لمرغم ثبوت التهمة على مهندسين وخمسة من الطلبة ثبت اشتراكهم فى

(١٠) محافظ عابدين ، تلغرافات ديوان خديو . انظر على سبيل المثال تلغراف من اللجنة الفرعية للحزب الوطنى بقسم عابدين .

(١١) هو القانون رقم ٢٨ لسنة ١٩١٠ فى ١٦ يونيه ١٩١٠ .

(١٢) محاضر جلسات مجلس شورى القوانين . دور الاعتقاد العادى ١٩١٠/١٩٠٩ الجلسة السابعة الذكر .

(١٣) بعد اغتيال بطرس غالى احسست سلطات الاحتلال أن هناك نقصاً فى قانون العقوبات فمركب الجريمة شلح ثبت أنه ينتمى الى جمعية سرية وأن آخرين اشتركوا معه فى التفكير فى ارتكاب الجريمة ، ومع ذلك فقد انفرد دونهم بالتنفيذ ، ولم يجد القضاء يومئذ سبيلاً الى معاقبة أولئك الشركاء الذين تبادلوا الراى مع القاتل ، ولم يكونوا شركاء معه فى التنفيذ ، لذلك اضيفت مادة الى قانون العقوبات وهى المادة ٤٧ مكرر ، وقد جاء فى المذكرة الايضاحية لوزارة الحقتانية أن الحكومة أرادت بهذه الاضافة أن تضرب على يد الاجتماعات أو الاتفاقات التى يكون العيث بالنفس أو الاموال غرضاً من أغراضها .

محمد عبد الله عنان : تاريخ المؤامرات السياسية . القاهرة — دار الهلال ١٩٢٨ ص ٣٥ .

التخطيط لارتكاب الجريمة ، فإن هذه الجريمة لا توجد عليها عقوبة فى القانون المدنى (١٤) .

وقد وضع سعد زغلول هذا المشروع ووافق عليه مجلس شورى القوانين بعد تعديلات طفيفة ، وقد استهدفت الحكومة من القانون الأول التنكيل برجال الحزب الوطنى ويتضح ذلك من محاكمة محمد فريد بسبب تقريظه لكتاب « وطنيتى » (١٥) للشيخ على الغاياتى والحكم عليه بالحبس لمدة ستة شهور فى أغسطس ١٩١٠ قدم كل من الشيخ عبد العزيز جاويش ومحمد فريد الى المحاكمة بتهمة كتابة مقدمة لكتاب « وطنيتى » الذى يتضمن الدعوة الى الثورة والتدبير بالظلم وبحكم الفرد ، فقد تحدث الغاياتى فى مقدمته لهذا الكتاب عن استسلام ملك فرنسا لويس السادس عشر لارادة حاشيته الظالمة ، وزوجته المستبدة المسرفة مارى انطوانيت التى كانت تحقر الشعب الفرنسى ، كما بين هذا الكتاب ان ارادة الشعب كانت دائما لى حق كل ارادة ، وان الويل دائما يلحق بالحكومات اذا غضبت عليها الشعوب (١٦) .

كما تضمنت هذه المقدمة تنديدا بحكم الخديو المطلق واسرافه فكتب على الغاياتى يقول « ياخذ الحاكم المستبد ( يقصد الخديو ) أموال الأمة باحدى يديه ، ويسومها سوء العذاب باليد الأخرى فهو يجيعها ليشبع ويفقرها ليغنى ، ويذلها ليعتز ثم يسد فى وجهها مناهل العلم لتنفس أمامه مناهج الظلم (١٧) » ثم هدد الخديو بقوله « لكن يوم الظالمين يوم عاصيب . هناك يغير الله حالا بعد حال وتستوى الأمة على عرشها تدبر دفة الحكم بيدها (١٨) » .

(14) Gorst to Grey . Cairo . April 12, 1910 No 20 Tel F.O Part Lxxii, 407 — 175 .

(١٥) ظهرت الطبعة الأولى منه فى يونيو ١٩١٠ .  
(١٦) على الغاياتى : وطنيتى . القاهرة — مطبعة منبر الشرق — الطبعة الثالثة ١٩٤٧ ص ٢٦ — ٢٧ .  
(١٧) نفسه ص ٢٢ .  
(١٨) نفسه ص ٢٣ .

ومع أن جميع القصائد التي احتواها الكتاب قد سبق للصحف نشرها فقد نبهت جريدة المؤيد السلطات الى خطورة الكتاب مما دفع الحكومة الى مطالبة النيابة بالتحقيق فيما ورد بالديوان ، فأمرت بمصادرته ، ووجهت تهمة التحريض على جريمة القتل السياسي والعيب في حق الذات الخديوية ، والحض على كراهية الحكومة<sup>(١٩)</sup> الى محمد فريد وعبد العزيز جاويش وعلى الغاياتي ، ولما كان محمد فريد في أوروبا في ذلك الوقت للدفاع عن القضية المصرية قد أجلت محاكمته لحين عودته بينما حكم على الشيخ على الغاياتي غيابيا ( وكان قد خرج سرا من القاهرة الى الاستانة ) بالحبس لمدة سنة ، كما حكم على الشيخ عبد العزيز جاويش بالحبس ثلاثة شهور .

ومع أن خصوم محمد فريد قد أشاعوا أنه لن يعود خوفا من الحكم عليه ، فإنه نفى هذه الشائعة وهو في أوروبا وعاد الى مصر بعد أن كتبت له ابنته خطابا تذكر له فيه الشائعات ، وتطلب منه العودة الى بلاد، بقولها « ولنفرض أنهم يحكمون عليك بمثل ما حكموا به على الشيخ جاويش ، فذلك أشرف من أن يقال بأنكم هربتم وما تحملتم الهوان في سبيل وطنكم .. وباسم الوطنية والحرية التي تضحون كل عزيز في سبيل نصرتها أن تعودوا وتتحملوا آلام السجن<sup>(٢٠)</sup> » .

وقد بدأت النيابة التحقيق مع محمد فريد في ٤ يناير ١٩١١ وقد تولى استجوابه محمد توفيق نسيم ، ونظرت القضية أمام محكمة الجنايات بالقاهرة في ٢٣ يناير ١٩١١ وأصدرت المحكمة حكمها بحبس فريد لمدة ستة أشهر مع النفاذ .

وعند مراجعتنا للمقدمة التي كتبها محمد فريد ، وهي تحت عنوان

(١٩) أحمد شوقي : مذكراتي في نصف قرن ج ٢ القسم الثالث من ٢٣٢ .

(٢٠) الرابعي : المرجع السابق ص ١٨٨ ، ٢٢٧ ، ٢٣٢ .

« تأثير الشعر في تربية الأمم » نجد أنها تتحدث عن أثر الشعر في إيقاف الأمم من سباتها ، ومهاجمة استبداد حكومة الفرد لامانتها للشعر الحماسي ، كما نجد دعوة من غريد للشعراء بعدم تطلق الأمراء والتقرب من الوزراء ، لأن « الحكام زائلون والأمة باقية » (٢١) .

وبعد صدور الحكم على غريد قام أمين الرافعي بعمل استفتاء في جريدة الشعب لمعرفة رأى علماء القانون عن السبب في الحكم على غريد بستة شهور حبس ، بينما حكم على الشيخ جاويش بثلاثة أشهر مع أن التهمة واحدة ، فكانت الحجة أن غريد يعرف القانون أكثر من جاويش لذلك غانه يقتضى التشديد عليه في العقوبة (٢٢) .

والجدير بالذكر أن هذه القوانين قد زادت من تدمير الوطنيين وقد أفصح سعد زغلول عن ذلك في مذكراته بقوله « كنت في أشد حالات القلق لأنى أشعر أن في النفوس هياجاً » (٢٣) « كما تقاطرت برقيات الاحتجاج من كافة أنحاء البلاد ضد هذه القوانين ، وقامت المظاهرات وتدخل البوليس لقمعها بإطلاق النار في الهواء » (٢٤) ومع أن سلطات الاحتلال استمرت في سياسة الارهاب فإن الحزب الوطنى ظل على سياسته في إثارة الجماهير واستمرت حركة الطلبة في المناداة بطلب الدستور مما أدى الى زيادة متاعب البوليس في المحافظة على النظام بشوارع القاهرة كما برز تأثير الصحافة على الطبقات الوسطى التي أخذت تظهر عداها السياسى للاحتلال وتنتقد هيئة الحكومة وسلطتها (٢٥) يضاف الى ذلك أن سياسة القهر والارهاب ضد الحزب الوطنى أدت الى

(٢١) على الغاياني : المرجع السابق ص ١١ — ١٥ .

(٢٢) مجلة الهلال مجلد ١٩٣٠ مقال للاستاذ طاهر الطناحى بعنوان « مثال البذل والجهاد » محمد غريد ص ٣٣١ .

(٢٣) مذكرات سعد زغلول كراسة ١٢ ص ٧٢٢ .

(24) F.O 407 — 174 No 13, Graham to Grey, Cairo. April 4, 1909

(25) 407 — 174, No 187 LoWther to Grey Constantinoble  
Morch 15, 1909 .

ظهور الأفكار الارهابية التي تتنادى بالدعوة الى الاغتيالات السياسية<sup>(٢٦)</sup> للتخلص من الخونة وأعداء الوطن .

ومما سبق يتضح أن سياسة الاحتلال في قمع الحركة الوطنية قد أدت الى زيادة حالات القلق في البلاد واثارة النفوس ضد الاحتلال .

## ٢ — استئناف جهاد محمد فريد في أوروبا

في ٢٢ مارس ١٩١٢ ألقى محمد فريد خطابه السنوي في الجمعية العمومية للحزب الوطني ندد فيها باقتراح اللورد كاتشنر انشاء صندوق توفير للزراع ، ومطالب أن يكون ذلك بأيدي صرافى البلاد ومع أن هذه الخطبة كانت خفيفة اللهجة عن خطب فريد السابقة فان الحكومة التي كانت تتربص به رأت أن اللاء فريد رهن السجون يحد من نشاطه الوطني ، ويهرب باقي الوطنيين لذلك أرسلت له اخطارا على يد ضابط بوليس يتضمن استدعاءه الى النيابة لاستجوابه عما ورد بخطبته ، ولما أحس فريد بنية الحكومة تجاهه فكر في مغادرة البلاد الى الخارج وقد أوضح ذلك في مذكراته بقوله « ومن هذه اللحظة صممت على ترك مصر<sup>(٢٧)</sup> » .

ولما كان أمر مغادرة زعيم الحزب الوطني للبلاد له خطورته في التأثير على الحزب فقد استشار فريد أعضاء اللجنة الخاصة بمناقشة المسائل الهامة في الحزب وعن ذلك يذكر « خابرت صادق بك رمضان وفؤاد بك سليم ومحمود بك فهمى المحامى واسماعيل لبيب واسماعيل حافظ أعضاء اللجنة الخصوصية التي كنا قد شكلناها للامدولة في مسائل

(26) 407 — 173 No 836. LoWther to Grey, Therapia - oct , 11 — 1909 .

(٢٧) دار الوثائق : مذكرات محمد فريد . الجزء الأول — القسم الاول

الحزب الهامة قبل عرضها على اللجنة الادارية ، وفي صباح يوم الاثنين نزلت بالقطار من محطة الحلمية حيث كنت ساكنا الى محطة الزيتون ، وقصدت منزل الدكتور صادق وأخبرته بالحادثة وبعمري على السفر ، فوافق واتفقنا على الاجتماع بمنزل اسماعيل بك لبيب بالحلمية الجديدة بعد الاستجواب (٢٨) .

ذهب فريد الى النيابة لاستجوابه وبعد الاستجواب سمح له بالانصراف فذهب الى منزل اسماعيل لبيب حسب الاتفاق وهناك قص على زملائه ما دار في التحقيق فقرروا بالاجماع مغادرته للبلاد (٢٩) .

وقد أوضح فريد الطريقة التي غادر بها أرض الوطن فقال « ذهبت الى نادى الحزب الوطنى وذهب اسماعيل بك الى محل كوك للاستعلام عن السفن المسافرة الى الخارج فوجدنا أن الوابور الروسى « الملكة أولجا » يسافر الى الآستانة وببريه في يوم الثلاثاء فقررنا السفر فيه بالكيفية الآتية وهى أن اسماعيل لبيب يقطع تذكرة لنفسه للاستانة وأنا أسافر من مصر يوم الثلاثاء باكسبريس الصباح الساعة ٧ صباحا كاني مسافر الى الاسكندرية للمرافعة في قضية بمحكمة الاستئناف المختلطة ثم أرافقه الى الوابور فان ضبطلت أو تعرف البوليس على أقول بأنى حاجز لوداعه وبما أئى ساكون بمفردى بلا شئ أو ملابس بل بلا تذكرة سفر فلا يمكن لأحد أن يظن بأنى مسافر (٣٠) .

ومع أن الوقت كان خيقا أمام فريد ، والظروف تقتضى منه الاسراع في العمل لأن الحكومة كانت جادة في استصدار أمر بالقبض عليه فان أمرا هاما كان يشغل باله وهو الطريقة التي يمكنه عن طريقها إبلاغ زوجته بما اعترم عليه فقد حرص على عدم ازعاجها ، ولكنه لم ير بدا

(٢٨) دار الوثائق : مذكرات محمد فريد . الجزء الأول . ص ١٤ .

(٢٩) نفسه .

(٣٠) نفسه ص ١٥ .

من أن يقضى إليها بالأمر فأفهمها بضرورة سفره وأوصاها بالصبر والجلد ومطلب منها أن لا تخبر أولاده ولا أحد من أسرته بما اعتزم عليه حتى لا يفرعجوا<sup>(٢١)</sup> .

وفي صباح الثلاثاء ٢٦ مارس استقل فريد القطار فقابله كثيرون من اخوانه وأصدقائه فأخبرهم أنه ذاهب الى الاسكندرية للترافع في قضية بالمحكمة المختلطة ، وقد رافقه في القطار اسماعيل لبيب وتغنيا بالاسكندرية ثم قصدا الباخرة الروسية المزمع ركوبها وكان اسماعيل لبيب قد اشترى لنفسه تذكرة السفر أما محمد فريد فقد ركب بدون تذكرة حتى لا يعرف أحدا عزمه على السفر فيحجزوه<sup>(٢٢)</sup> » .

احتجب فريد في محل الأدب نحو عشر دقائق عند مرور مفتش الباخرة فلم يلاحظ أحد وجوده<sup>(٢٣)</sup> وبعد تحرك الباخرة دفع فريد ثمن التذكرة معتذرا بأنه لم يجد الوقت الكافي لأدائه في مكتب الشركة بالاسكندرية<sup>(٢٤)</sup> .

وعلى كل حال فقد خرج فريد من مصر واختلف الباحثون حول طبيعة هذا التصرف فظهم من يعتبر خروجه تصرفا خاطئا لأنه عزل قيادة الحركة الوطنية عن الجماهير ونقل قيادتها من مركز اشعاعها الى الاستانة ودول أوروبا<sup>(٢٥)</sup> ، وانه ترك شعبا أحبه والتف حوله وأعجب به ومنح التأييد لحزبه ما لم يمنحه لأي حزب آخر وكان يجب عليه ألا يترك

---

(٢١) الرافعي : محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية ص ٢٧٥ .

(٢٢) نفسه .

(٢٣) مذكرات محمد فريد . ج ١ القسم الاول ص ١٧ .

بينما يذكر الرافعي أن فريد احتجب بغرفة اسماعيل لبيب حتى انتهى مفتش الحجر الصحي من المرور .

(٢٤) الرافعي : المرجع السابق ص ٢٧٦ .

(٢٥) محمد صبيح ، مواقف حاسمة في تاريخ القومية العربية — كفاح شعب مصر في القرنين التاسع عشر والعشرين . القاهرة . المطبعة الثانية ١٩٦٦ ، ص ٥٣٠ .

مصر لأنها مركز الجهاد الحقيقي<sup>(٣٦)</sup> وأن دخوله السجن فيه تعبئة للرأى العام وإيقاظا لهمم الناس وشحذا لوطنيتهم وأنه كان من الممكن الاغراج عنه بقوة الضغط الشعبى<sup>(٣٧)</sup> .

ومن الباحثين من يرى أن خروج فريد من مصر كان تصرفا صحيحا لأنه كان فى نية الحكومة شل حركته وإيقاظه رهن السجون بواسطة سلسلة من المحاكمات التى لا تنتهى بحيث إذا خرج من سجنه تدبر له تهمة جديدة يدخل بسببها السجن ثانية وأن خروج فريد من مصر سيتيح له متابعة جهاده فى الخارج ورفع صوت مصر والمناصرة بحريتها واستقلالها<sup>(٣٨)</sup> حيث كان الرأى العام العالمى فى حاجة الى فهم واضح لأبعاد القضية المصرية كما أن التنظيمات الطلابية خارج مصر كانت فى حاجة الى جهود فريد الذى يعتبر رجل التنظيم السياسى فى مصر<sup>(٣٩)</sup> .

وهناك فريق يرى أن خروج فريد من مصر كان من أجل ملاحقة فتاة فرنسية كان يحبها وهى مدام دى روشبرون .

ومن وجهة نظرنا فنحن نرى أن نقل فريد لميدان الكفاح فى الخارج يعتبر استمرارا لمواصلة الجهاد وتاليا للرأى العام الأوروبى على الانجليز وأفيد للحركة الوطنية من تواجد وسط مؤامرات الحكومة وأرهابها . فقد تابع فريد جهاده فى الخارج وكان أول عمل بارز له هناك هو حضوره مؤتمر السلام فى جنيف فى ٢٢ سبتمبر ١٩١٢ ومطالبته بجلأ الانجليز عن مصر واقناع أعضاء المؤتمر بأن الجلأ عن مصر هو خدمة للسلام العالمى<sup>(٤٠)</sup> .

(٣٦) د. رفعت السعيد . تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر ص ٢٨ .

(٣٧) محمد سبيح : المرجع السابق ص ٥٢١ .

(٣٨) الرافعى : المرجع السابق ص ٢٧٥ .

(٣٩) الجمهورية العدد ٥٧٧٥ فى ١٦/١٠/١٩٦٦ مقال للدكتور محمد

انيس تحت عنوان كفاح فى المنفى .

(٤٠) الرافعى : المرجع السابق ص ٢٧٨ — ٢٨٢ .

والجدير بالذكر أنه بعد خروج فريد من مصر سادها جو من الارهاب وكثرت الوشائيات واستهدف الوطنيون لشتى ضروب الاضطهاد فأخذت الحكومة فى مطاردة الحركة الوطنية وضرب نطاق من التجسس حولها<sup>(١١)</sup> كما أنها أخذت تراقب تحركات فريد بأوروبا فأرسلت محمد بدر الدين رئيس قلم الضبط بوزارة الداخلية لمراقبته ، خصوصا وأنها كانت تخشى تأثيره على الطلبة المصريين فى أوروبا<sup>(١٢)</sup> .

وكان طليعيا بعد هجرة فريد من مصر وما تبعه من هجرة العشرات من قادة الحزب الوطنى أن تتبدد جهود الحركة الوطنية وعلى كل حال فانه بقيام الحرب العالمية الأولى انتهى الدور التاريخى للحزب الوطنى فى قيادة الحركة الوطنية المصرية .

### ٣ — مقارنة بين مصطفى كامل ومحمد فريد

#### النشأة والانتماء الطبقي

ولد مصطفى كامل فى ١٤ أغسطس ١٨٧٤ بدرب المينى شارع « شيخون » حى الصليبية بقسم الخليفة بالقاهرة<sup>(١٣)</sup> وولد محمد فريد فى ٣٠ يناير ١٨٦٨ بمدينة القاهرة أى قبل ميلاد مصطفى كامل بنحو سبع سنوات<sup>(١٤)</sup> ونشأ مصطفى كامل فى طبقة اجتماعية متوسطة فوالده على محمد كان يعمل فى خدمة الحكومة المصرية حوالى أربعاً وأربعين عاماً عمل فى أثنائها بحرس سعيد باشا ثم بنظارة الأشغال العمومية ، حيث قضى بها مدة طويلة أحيل بعدها الى المعاش<sup>(١٥)</sup> . أما والده

(١١) الراغى : المرجع السابق ص ٢٨٦ .

(١٢) مذكرات محمد فريد . ملف ( ١ ) ص ٢٠ — ٢١ .

(١٣) الراغى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية . القاهرة — النهضة المصرية الطبعة الرابعة ١٩٦٢ ص ١٩ .

(١٤) الراغى : محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية .

(١٥) الراغى : مصطفى كامل ص ١٩ .

مصطفى كامل فهي السيدة حفيظة هانم ابنة أحد الضباط المصريين .  
وقد وقفت بجوار ابنها تشد من أزره ، وقد ورث مصطفى كامل عنها  
الصبر على احتمال المتاعب والآلام . وحسب الخير<sup>(٤٦)</sup> .

أما عن مصطفى كامل فكان يمتاز بذاكرة واعية وإرادة قوية منذ  
صغره ، كما كان يتمن في كل ما يراه وما يسمعه شغوفا بقصص  
البطولة والفروسية التي كان يسمها من والده ، وقد تنقل في المدارس  
الابتدائية ، وأراد والده ادخاله الأزهر ، ولكنه عدل عن ذلك ، لنموه  
في الرياضيات .

وقد التحق مصطفى كامل بعد حصوله على الابتدائية بالقسم  
التجهيزي بالمدرسة الخديوية ، وبعد أن نال شهادة « البكالوريا » التحق  
بمدرسة الحقوق الخديوية ثم بمدرسة الحقوق الفرنسية ، ولما كانت  
ظروف مصطفى كامل الاجتماعية لا تمكنه من استكمال دراسته بالخارج  
فقد أمد الخديو عباس الثاني بالمال بعض الوقت ، وقد حصل مصطفى  
على شهادة الحقوق في نوفمبر ١٨٩٤ وله من العمر عشرون سنة<sup>(٤٧)</sup> ،  
ورغم أنه قد قيد اسمه في سجل المحامين فإنه لم يتراجع عن أية قضية  
سوى قضية مصر .

أما عن محمد فريد فقد نشأ في بيت مجد وثر ، فأبوه أحمد فريد  
باشا كان نائلاً للدائرة الستية عام ١٨٨٦ ، ووالدة محمد فريد هي  
السيدة « بعبه هانم » كريمة إبراهيم أفندي غاضى البهار ، وكان لها  
الفصل الأكبر في تعليم نجلها صفاء النفس والمعاني السامية<sup>(٤٨)</sup> .

وقد دخل فريد مدارس الحكومة ، وحصل على شهادة الحقوق في  
مايو ١٨٧٧ ، ومع أن نشأته العائلية كانت تؤهله للعيش في سعادة بعيداً

(٤٦) الرافعي : المرجع السابق ص ٢١ .

(٤٧) نفسه ص ٤١ .

(٤٨) الرافعي : محمد فريد ص ١٧ — ١٨ .

عن مخاطر السياسة فإنه ترك انتماءه الطبقي قلبا وقالبا ، واقتحم ميدان الجهاد ، وأصبح جماهيريا يفضل الارتباط بمشاكل الجماهير والسعد عن حياة الأثرياء .

ومع أن مصطفى كامل ابتعد عن العمل في السلك الحكومي — بعد حصوله على شهادة الحقوق — لأن الحكومة كانت خاضعة لسيطرة الاحتلال وهو لا يقبل هذا الخضوع بل هو نائر على الاحتلال<sup>(٤٩)</sup> فإن فريد عمل في هذا السلك ، فعين في عام ١٨٨٧ في وظيفة مترجم بقلم قضايا الدائرة السنية وتدرج في المناصب حتى وصل إلى وظيفة : وكيل نيابة ، وأخذت أبواب التدرج الوظيفي تتفتح أمامه لولا ما اعترضه في سبيلها من التطلع إلى الجهاد في سبيل مصر<sup>(٥٠)</sup> .

وبينما تولي مصطفى كامل دون أن يتزوج ، فإن فريد تزوج ورزق من زوجته بولدين وأربع بنات<sup>(٥١)</sup> .

### ميولهما الوطنية :

ظهرت ميول مصطفى كامل الوطنية وهو بالمدرسة الثانوية ، إذ بدأ يشعر أن عليه واجبا نحو وطنه يجب أن يؤديه ، فأسس جمعية الصليبية الأدبية ، وأخذ يرسل الصحف وهو طالب . أما فريد فقد بدأت ميوله الوطنية بعد حصوله على شهادة الحقوق ، وقد اتجهت نفسه إلى خدمة الوطن بالكتابة والتأليف ، ونشر براسل الصحف ، وكتب مقالات بمجلة الآداب ، وجريدتي المؤيد والحر ، وظهرت ميوله الوطنية واضحة أثناء التحاقه بالمناصب الحكومية ، ويظهر ذلك واضحا في موقفه من « قضية التطهير » ، ثم ضحى بمنصبه وعمل بالمحاماة ، حتى يبتعد عن قيود الوظيفة .

(٤٩) الرافعي : مصطفى كامل من ٤٢ .

(٥٠) الرافعي : محمد فريد من ٢١ .

(٥١) نفسه من ١٨ — ٢٠ .

### علاقة كل منهما بالخدّيو :

نشأ مصطفى كامل في طبقة اجتماعية متوسطة ، لم تمكنه من مقابلة المصروفات الكبيرة التي يتطلبها العمل الوطني الذي تصدى له ، ومن ثم اعتمد على الخديو عباس الثاني في امداده بهذه المصروفات مما أوجد نوعا من العلاقة الخاصة بين الرجلين<sup>(٥٢)</sup> ، وجعل مصطفى يرتبط بالخدّوية في بعض المواقف أحيانا ، ومع ذلك فإن علاقة مصطفى كامل بالخديو لم تستمر على هذا المنوال ، فقد رأى مصطفى كامل ضرورة استقلال الحركة الوطنية عن الخديو بعد أن تبين له سياسة الخديو المتقلبة تجاهها ، وقد أوضح مصطفى كامل ذلك في خطاب أرسله الى محمد فريد قال فيه : « لقد علمت عن الخديو ما لا يسر ولا يدر أن تشره السياسة ذات الوجهين ضررا كبيرا ، وكلما كان عمل الوطنيين بعيدا عنه كان الفلاح محققا<sup>(٥٣)</sup> » .

أما فريد فلم يرتبط بالخديوية بأية روابط تقيد من حركته أو تفرض عليه مواقف معينة ، فبحكم انتمائه لطبقة كبار الملاك استطاع امداد العمل الوطني بالمال دون أن يلتزم بأى موقف مع الخديو ، لذلك فعندما تولى فريد رئاسة الحزب الوطني اتخذ مطابح الخلاف بينه وبين الخديو أبعادا واسعة نتيجة لرفض فريد إيجاد علاقة مع الخديو شبيهة بالعلاقة التي كانت قائمة بين الخديو ومصطفى كامل .

لقد ورث فريد جدّا معارضة التعامل مع الخديو من لطيف باشا سليم الذي كان يرى في الخديو رجلا أنانيا يغفل منفعة الشخصية على الصالح العام<sup>(٥٤)</sup> .

---

(٥٢) د. يونان لبيب : الحياة الحزبية في مصر في عهد الاحتلال البرلماني ص ٨٤ .

(٥٣) مذكرات محمد فريد . مخطوط رقم ( ١ ) خطاب من مصطفى كامل الى محمد فريد بتاريخ ٢٣ أغسطس ١٩٠٧ .

(٥٤) مذكرات محمد فريد ، الجزء الأول — القسم الأول ص ٢ .

ومن ذلك يتضح أنه إذا كان الخديو قد أمد مصطفى كامل بالمال فإن ذلك لم يحدث مع محمد فريد حتى في أخرج اللحظات الا في أواخر حياته ، وقد نفى فريد الشائعات التي قيلت بأن الخديو ورئيس الوزراء محمد سعيد قد أرسلوا اليه ثلاثمائة جنيه لمساعدته على الخروج من مصر ، واستغرب مثل هذا الأمر بقوله في رسالة له الى الخديو : « انى أترفع عن قبول أية مساعدة منكم ولو كنت في أحط دركات الفقر .. وانى لا أقبل منكم أية مساعدة ما دامت مهمتى هي الجهاد في تحرير البلاد من الانجليز ومن كل من يعاونهم على توطيد قدمهم في مصر كائنا من كان(٥٥) » .

ومع ذلك فإن الظروف التي أحاطت بفريد في أواخر أيامه جعلته يقبل مساعدة الخديو له بالمال ، ويتضح ذلك فيما كتبه في مذكراته تحت عنوان « من أين أعيش » أنه يأخذ نقودا من الخديو ، ولا عيب في ذلك لأنه خديونا الشرعى ، ولا يعتبر أخذ الفلوس منه خيانة(٥٦) .

#### علاقة مصطفى كامل بفريد :

اتلفت ميول فريد الوطنية مع ميول مصطفى كامل ، فاتصل به وزامله في حركة الكفاح الوطنى ، وأيده في جهاده وتوثقت روابط الصداقة بينهما ، وكان مصطفى يراه خير خليفة له في قيادة الحركة الوطنية(٥٧) .

وتدل رسائل مصطفى كامل الى فريد على ما بينهما من الود والحب الخالص فكلاهما كان يؤثر صاحبه على نفسه « ما بيننا من الود والاخاء يجعل مالك مالى ، ومالى مالك ، وحياتى حياتك ، وحياتك حياتى هذا

(٥٥) مذكرات محمد فريد من ٢٣ — ٢٤ في ١١ يونيو ١٩١٢ .

(٥٦) مذكرات محمد فريد ، ملف رقم ٧ ص ١٩٦ .

(٥٧) الرافعى : محمد فريد ص ٨ .

ما أعنقده وما تمنعده أنت فروحي تناجي روحك بالود والاخلاص في كل لحظة (٥٨) .

وترجع صلة مصطفى كامل بفريد الى عام ١٨٩٣م عندما أسس مصطفى كامل مجلة المدرسة ، ثم تأكدت العلاقة بينهما في عام ١٨٩٥ عندما تقابلا في « باريس » قبل أن يلتقي مصطفى كامل أول خطبة السياسية في مدينة « تولوز » في ٤ يوليه من تلك السنة (٥٩) .

وقد أمد فريد مصطفى كامل بالمال لاعانتته على أداء مهامه الوطنية، ويتضح ذلك من رسالة بعثها مصطفى كامل الى فريد يقول له فيها : « أكتب اليك بمبلغ الألف « فرنك » فلك مني جزيل وعظيم الامتنان، فحقا أنت الأخ الصادق الذي يضحي بنفسه في سبيل محبة اخوانه (٦٠) » .

كما يتضح من قول مصطفى كامل الى فريد : « وتجدني محتاجا الى خمين جنيتها ولا أسأل غيرك أحدا (٦١) » .

لقد توثقت عرى الصداقة والاخاء بين مصطفى وفريد حتى كانا زميلين وصديقين وغنيين في الجهاد ، ولقد صاحب فريد مصطفى كامل في كثير من رحلاته بأوروبا ، واجتمعا فيها معا برجال السياسة والصحافة وكبار الكتاب ، وناب عنه خلال صيف ١٩٠٧م في الاشراف على

---

(٥٨) مذكرات محمد فريد ، مطبوع رقم ( ١ ) ، رسالة أرسلها مصطفى الى فريد من باريس بتاريخ ١٩ يوليه ١٨٩٨ .

(٥٩) الرافعي : محمد فريد ص ٣١ .

(٦٠) مذكرات محمد فريد . مطبوع رقم ( ١ ) ، خطابات من مصطفى كامل الى محمد فريد . خطاب بتاريخ ٢٦ أغسطس ١٨٩٨م .

(٦١) نفسه : خطاب بتاريخ ١٥ أغسطس ١٨٩٨ .

« اللواء » ، وإدارة جريدتي « ليتندار اجييسيان و ذى اجبشيان استاندر » حينما سافر مصطفى الى أوروبا ، وكان مصطفى يرى في مفريد خير خليفة له في قيادة الحركة الوطنية ، فاختاره وكيلا للحزب الوطني في أول جمعية عمومية له ، كما أوصى بانتخابه رئيسا بعد وفاته (٦٢) .

### أسلوب كل من مصطفى كامل ومفريد في الكفاح :

لقد تمتع مصطفى كامل بموهبة اقناع الجماهير فكانت بلاغته واضحة في أسلوبه الذي ينتقل من البساطة الى بلاغة الخطيب (٦٣) ، وكان أسلوبه السياسي قائما على الصراحة في الحق ، ولم يقتصر ذلك على الجماهير المصرية بل نجد أن مصطفى كامل قد نجح في استمالة عقول القراء بأوروبا ، فكتب أولى رسائله السياسية وهو في « باريس » بعنوان : « في أخطار الاحتلال البريطاني » ، أوضح فيها لشعوب وحكومات أوروبا أن خطورة احتلال إنجلترا لمصر لا تقتصر على مصر وحدها بل على الدول الأوروبية نفسها ، وكانت دعايته للقضية المصرية في أوروبا من أهم صفحات جهاده الوطني ، فقد استطاع الدفاع عن قضية بلاده على صفحات الجرائد الأوروبية ، ولا غرو فإنه أول مصري أسمع العالم الأوروبي من مقالاته وخطبه وأحاديثه أن مصر ترفض الاحتلال وتطلب الحرية والاستقلال (٦٤) ، وساعده في ذلك معرفته للثقافة الغربية .

(٦٢) الرافعي : المرجع السابق ص ٨ .

(٦٣) د. عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية في مصر ج ٥ ص ٤٩ .

والجدير بالذكر أن مصطفى كامل كان يعتمد في تصحيح خطبه على أحمد حلمي المحرر باللواء .  
انظر : مجموعة الخطبات المودعة بمتحف مصطفى كامل ببسدان صلاح الدين بالقاهرة خطاب بتاريخ ٧ يونية ١٩٠٤م والموجودة ضمن ملاحق الكتاب .

(٦٤) الرافعي : مصطفى كامل ص ٥٠ .

وقد عرف مصطفى كامل — طيلة كفاحه — كيف يخاطب عدوه باللغة الهادئة التي تستند على العقل والمنطق ، كما تميز بالحذر في سياسته وخصوصا بعد تجربة الثورة العربية<sup>(٦٥)</sup> فلم يلجأ الى الغضب أو الذم. بل كان عفيف القلم واللسان ، يطالب بحقوق بلاده بأسلوب بعيد عن الشنائم<sup>(٦٦)</sup> .

وتميز مصطفى كامل في أسلوب كفاحه بالواقعية ، فقتبع الحقائق من مصادرها ، ورأى أن القضية المصرية قضية دولية وأن الاستقلال لا يتحقق لمصر الا بالضغط الأوروبي على انجلترا .

كما حارب مصطفى كامل اليأس في النفوس ، وأوضح أهمية الثبات على المبدأ والايمان بالوطن ، وبمثل هذه التعاليم استمر مصطفى كامل يعمل من أجل انهاض مصر ، ويحمل نفسه فوق طاقتها لا يهتم الا بتأدية الواجب غير ناظر الى ما ينتجه هذا الاجهاد من الاضرار بصحته<sup>(٦٧)</sup> .

هذا عن أسلوب مصطفى كامل في الكفاح الوطني أما محمد فريد فقد أكمل ما بدأه مصطفى كامل مستخدما الوسائل والأساليب التي اتبعها مصطفى كامل مضيئا اليها الاشتراك في المؤتمرات التي عقدت في أوروبا وذلك لعرض القضية المصرية هناك .

وقد استند أسلوب فريد في الكفاح على أربع دعائم وهي الاخلاص ، والصراحة ، وقوة الارادة ، والتضحية ، فما كان فريد يخشى في الحق لومة لائم ولو خسر منصبا أو فقد صديقا ، وكان يقول الحق ولو ضد أكبر رأس في مصر ، ولا يبغي من وراء ذلك سوى المصلحة

(٦٥) Safran, Nadav . op. Cit P. 89 .

(٦٦) انظر : اللواء العدد الرابع في ٦ يناير ١٩٠٠ تحت عنوان « الصحافة في مصر » .

(٦٧) محيي الدين رضا : أبطال الوطنية . مصطفى كامل — محمد فريد . القاهرة — مطبعة الصباح ١٩٢٣ .

العامّة ، وكان مبدؤه في ذلك أن الأمة يجب أن تعلم كل شيء ، وتتعرّف صديقها من عدوها ، وأن الرأي العام لا يقوى إلا إذا كانت لديه الشجاعة التي تجعله يقول للمخطئ أنت مخطئ. ولو كان عظيمًا وللمصيب أصبت ولو كان حقيرًا (٦٨) .

وكان فريد صادق العزم قوى الإرادة لا يعرف التردد وينكر أن لليأس وجودًا في قاموس الوطنية ، كما كان يرى أن العقوبات لا تقف في سبيل الإرادة القوية بل أن الإرادة القوية تذلل العقوبات وتحققها (٦٩) .

ومع أن فريد واصل طريق مصطفى كامل في الكفاح بالخطابة وكتابة المقالات وعقد الاجتماعات لتوضيح وجهة النظر المصرية في كل مناسبة فإنه استطاع أن يحدث تحولًا في أيديولوجية الحزب الوطني واستراتيجيته النضالية وقد تركر ذلك فيما يلي :

١ — امتداد قواعد الحزب الوطني في كافة أنحاء البلاد لنشر رسالته بين القواعد الشعبية .

٢ — الاهتمام بنادي المدارس العليا باعتباره الأساس لمرحلة التحول

٣ — تأسيس المدارس الشعبية لتكون نواة لليقظة القومية .

٤ — المناداة بإنشاء النقابات الزراعية وانصاف الفلاحين عن طريق الدعوة إلى التعاون .

٥ — تجميع الطبقة العمالية والدفاع عنها لتكون ذخيرة للوطن في كفاحه السياسي والاجتماعي .

---

(٦٨) محيى الدين رضا : المرجع السابق ص ٢٦ .

(٦٩) نفسه .

٦ — الربط بين الكفاح الوطنى فى مصر والحركة الطلابية فى الخارج<sup>(٧٠)</sup> .

٧ — الاشتراك فى المؤتمرات التى عقدت بأوروبا لرفع صوت مصر والدفاع عن قضيتها أمام مختلف الشعوب والأجناس فاشترك فى مؤتمر الشبيبة المصرية بجنيف ١٩٠٩ ، وفى مؤتمر السلام باستوكهولم ١٩١٠ وعقد المؤتمر الوطنى فى بروكسل عام ١٩١٠ وأسمع العالم فى هذه الأماكن صوت مصر ودافع عن مطالبها<sup>(٧١)</sup> .

لقد ضحى فريد بصحته وماله من أجل مصر وقضيتها واستهدف للسجن والنفى والتشريد ، ومع ذلك لم ينقطع عن جهاده وإن يضعف أمام الوعيد لأنه لم يعرف فى الوطنية لينا .

#### علاقة كل من مصطفى كامل ومحمد فريد بالدولة العثمانية

لقد رأى مصطفى كامل أن ارتباط مصر بالدولة العثمانية يحول دون إعلان انجلترا حمايتها على مصر لذلك ظل طوال حياته مدافعا عن الدولة العثمانية ومتمسكا بما جاء فى معاهدة لندن ١٨٤٠ من أن مصر دولة مستقلة وللدولة العثمانية حق السيادة عليها ، وبذلك حصر جهاده ضد انجلترا أما عن السيادة العثمانية فقد رأى أنها تراخت مع الزمن ومن السهل التخلص منها بعد التخلص من الاحتلال ولكن ليس من الحكمة المناداة بالغاء السيادة العثمانية وجلاء الاحتلال فى آن واحد حتى لا تنضم تركيا الى انجلترا ضد مصر أما محمد فريد فقد نادى بأن تكون مصر للمصريين حينما أحس أن بعض الأتراك أرادوا استخدامه كآله فى أيديهم لتحقيق أهدافهم ، ولما عرضت عليه الحكومة العثمانية

---

(٧٠) عبد الحميد الكاشف : تاريخ الحزب الوطنى تحت زعامة محمد فريد . رسالة ماجستير غير منشورة .  
(٧١) الرانعى : محمد فريد ص ٩ .

بعض المناصب ومنها عميد كلية الحقوق بالاستانة اعتذر عن عدم قبولها حتى يحتفظ باستقلاله في جهاده<sup>(٧٢)</sup> والجدير بالذكر أنه بعد توليه محمد فريد زعامة الحزب الوطنى برز اتجاهان داخل الحزب حول علاقة مصر بالدولة العثمانية فكان هناك اتجاه يمثله الشيخ عبد العزيز جاويش ويتمثل في حق الأمة المصرية في الحرية والدستور والجلاء في ظل وحدة العالم الاسلامى تحت راية الدولة العثمانية<sup>(٧٣)</sup> .

أما الاتجاه الآخر فهو اتجاه محمد فريد الذى قاوم آراء الشيخ جاويش بقوله « ان حبه للدولة العثمانية أدى به الى نسيان مصر ومصالحها فأصبحوا يقولون ان مصر للمسلمين لا للمصريين ، وقد وصلت الحالة بالشيخ جاويش الى أن نصحنى بعدم حمل الدبوس الذى عملناه في جنيف والمكتوب عليه « مصر للمصريين » بقوله ان منظره على صدرى وصدر اخوانى يغيب العثمانيين كما يغيبهم محافظتى على تومية مصر<sup>(٧٤)</sup> » .

ولما تولى البرنس حليم رئاسة الوزارة التركية ، وكانت له مطامع في عرش مصر وجد فريد معتمدا بمصريته ، ورأى الصدر الأعظم أنه العقبة الكئود في سبيله ، فأراد أن يتحرش به ليجبره على الخروج من تركيا فأرسل اليه يطلب منه أن ينزع من جاكنته شارته الوطنية التى كان مرسوما عليها أبو الهول ، ومكتوبا عليها « مصر للمصريين » فرفض فريد الخنوع لهذا الأمر فأرسل اليه ثانية يهدده بالنفى ، فكان جوابه « ان جميع البلاد تتساوى عندى ما دمت قد حرمت من الإقامة بمصر » وعلى أثر ذلك غادر فريد الاستانة وسافر الى سويسرا<sup>(٧٥)</sup> .

(٧٢) الرافعى : المرجع السابق ص ٤٥٤ .

(٧٣) أنور الجندى : عبد العزيز جاويش ص ٨٢ .

(٧٤) مذكرات محمد فريد .

(٧٥) الهلال ١٩٣٠ مقال للاستاذ طاهر الطحاضى بعنوان مثال البسذل والجهاد محمد بك فريد ص ٣٣٢ .

ومما سبق يتضح أن علاقة مصطفى كامل بالدولة العثمانية تختلف  
عن علاقة محمد فريد بها •

### أهمية كل من مصطفى كامل ومحمد فريد في تاريخ مصر الحديث :

ترجع أهمية مصطفى كامل في التاريخ المصري الحديث الى  
ما يأتي :

١ — حاجة مصر الى شباب ليوقظ فيها الأمل خاصة بعد أن دب  
اليأس في القلوب ، فظهر مصطفى كامل في الوقت المناسب وطالب  
الانجليز بالجلاء عن مصر ، ووضع لمواطنيه الطريق الذي يؤدي الى  
ذلك باعتبارهم الأمل في المستقبل •

٢ — يعتبر مصطفى كامل داعية حقيقي للقضية المصرية ، فقد  
روج لها ترويجا واسعا حتى آمن به الكثيرون من المصريين وغير  
المصريين (٧٦) •

٣ — استغل مصطفى كامل سلاح الدعاية لاحتسابه بأهمية تدويل  
القضية المصرية كما أنه سبق الأمم المتحدة الى القول بأن كل معاهدة  
بين قوتين غير متكافئتين هي عقد باطل ويتضح ذلك في رسالة مصطفى  
كامل السياسية الأولى عن مخاطر الاحتلال •

٤ — جعل مصطفى كامل للحركة الوطنية أنصارا وأصدقاء من أكبر  
كتاب فرنسا وألمانيا وإيطاليا وإنجلترا ومن نوابها وصحفيها وثوارها  
ومجاهديها •

٥ — وجه مصطفى كامل الحركة الوطنية الى العمل المنتج فأدار

---

(٧٦) د. عبد اللطيف حمزة : ادب المغالة الصحفية في مصر ج ٥  
مصطفى كامل ص ٧١ •

مدرسة مصطفى كامل في مارس ١٨٩٩ وجعل التعليم مجانيا لأغلب التلاميذ .

٦ — أسس مصطفى كامل جريدة اللواء عام ١٩٠٠ فكانت بمثابة مدرسة للصحافة الوطنية تتلمذ فيها الكثير من كتاب الحركة الوطنية ، وكانت هذه الجريدة من أوسع الجرائد العربية انتشارا (٧٧) كما أسس مصطفى كامل شقيقتين اللواء أحدها بالانجليزية والأخرى بالفرنسية وذلك لتوضح وجهة نظر الحركة الوطنية المصرية أمام الرأي العام الانجليزي والفرنسي .

٧ — أصبحت الحركة الوطنية بفضل جهود مصطفى كامل من القوة لدرجة أن كامبل بامرمان رئيس وزراء بريطانيا قابل مصطفى كامل أثناء تواجده بلندن وعرض عليه تشكيل وزارة مصرية ، ولكنه اعتذر عن ذلك واكتفى بتقديم كشف مكون من ٣٣ اسما كان من بينهم سعد زغلول (٧٨) .

٨ — نجح مصطفى كامل في إصدار العفو عن مسجونى دنشواي في ٨ يناير ١٩٠٨ فكان ذلك بمثابة انتصار كبير للحركة الوطنية (٧٩) .

٩ — تبنى مصطفى كامل فكرة انشاء الجامعة المصرية ، فدعا اليها على صفحات اللواء في أكتوبر ١٩٠٤ ، وفي يناير ١٩٠٥ ، وانتهاز فرصة دعوة محمد فريد الي تأليف لجنة للاحتفال بعودته من أوروبا بعد نجاحه في اثارة الرأي العام في أوروبا ومصر ضد الاحتلال فطلب من فريد أن يقام بدلا من هذا الاحتفال اكتتاب عام لتأسيس الجامعة المصرية مما ساعد على بلورة هذه الفكرة في أذهان الشعب المصرى (٨٠) .

---

(٧٧) فتحى رضوان : مصطفى كامل ص ٧٩ .

(٧٨) نفسه ص ٩٠ .

(٧٩) نفسه .

(٨٠) للنفاصيل انظر كتابنا الجامعة المصرية القديمة — نشأتها ودورها في المجتمع القاهرة — دار الكتاب الجامعى ص ٩ — ١٢ .

١٠ ألف مصطفى كامل الحزب الوطنى ودعا المصريين الى الانضمام اليه .

١١ — سعى مصطفى كامل الى دعم الوحدة الوطنية بين عنصرى الأمة وضم فى حزبه ويصا واصف .

١٢ — وجه مصطفى كامل جهوده نحو التجمعات الطلابية التى كانت شديدة الاعجاب بشخصه لمتمتع بنفوذ كبير بين الطلبة ، ولم ينقضى عام الا وكانت المدارس العليا تغص بالجمعيات السرية ، وكانت نواتها مدرسة المهندسخانة حيث تأسست جمعية الاتحاد الاسلامى فى فبراير عام ١٩٠٥ (٨١) .

١٣ — وهب مصطفى كامل حياته من أجل الدفاع عن مصر ، فابتعد عن مباحج الدنيا وحياة اللهو كما أنه لم يتزوج ورغم أنه عاش لفترة غير قصيرة فى باريس المليئة بساحات اللهو فانه كان يقبع فى زاوية من غرفة منزله يصور آلام مصر ويطلب من ساسة أوروبا مساندتها (٨٢) .

مما سبق يتضح أن مصطفى كامل كان زعيما وطنيا ناضج الفكر واسع الاطلاع عارفا بأسرار السياسة الدولية .

أما عن محمد فريد فقد نال من الاحتلال وصنائه أكثر مما تعرض له مصطفى كامل لأنه تولى رئاسة الحزب الوطنى فى وقت تعرضت فيه الحركة الوطنية لضربات متلاحقة سواء من الخديو أو الاحتلال نتيجة لسياسة الوفاق التى اتبعها الانجليز لاجتذاب الخديو الى صفهم ، لذلك اكتنفت رئاسة فريد للحزب الوطنى المضاعف والعقبات ومع ذلك فانه

(٨١) عصام ضياء الدين : المرجع السابق ص ٥ .

(٨٢) على فهمى كامل : مصطفى كامل فى ٣٤ ربيعاً ج ٥ ص ١٢٨ ، ص ١٢٩ .

يمكن تلخيص الأعمال البارزة للحزب الوطني أثناء رئاسة فريد له في الآتى :

- ١ — محاولة الاحتفاظ بوحدة الحزب وتضامن أعضائه .
- ٢ — انشاء اللجان الفرعية للحزب في أقسام العاصمة وفي البنادير والأقاليم .
- ٣ — تأليف مدارس الشعب الليلية لتعليم العمال مجانا .
- ٤ — وضع تقرير سنوى متصل عن أحوال البلاد .
- ٥ — استمرار الدعاية للقضية الوطنية في أوروبا عامة وانجلترا خاصة (٨٣) .
- ٦ — توجيه الأمة الى مطالبة الخديو بالدستور فطبع الحزب الوطني عشرات الآلاف من العرائض لمطلب المجلس النيابى (٨٤) .
- ٧ — دعم فريد التنظيمات السرية في مصر وطورها ، ولم يجد غضاضة في توفير الشباب المصرى بطرح أعمال العنف التى اندلعت في أيرلندا والهند ضد الاحتلال البريطانى لتكون التجارب واضحة أمامهم في مقاومة الاحتلال في مصر ، كما أوعز الى اللواء بابراز الكفاح الثورى في الهند والاشادة بدور الطلاب الهنود الذين أصبحت أغلب مدارسهم الوطنية مصانع للمفرقات يتعلم فيها الطلبة على كيفية صنعها وتركيبها (٨٥) .

---

(٨٣) الرافعى : محمد فريد رمز الاخلاص والنضحية ص ٨٥ .  
 (٨٤) الرافعى : المرجع السابق ص ٥٦ — ٦٢ .  
 (٨٥) عصام ضياء الدين : المرجع السابق ص ١٠ وللتمصيل انظر : اللواء في ٣ مايو ١٩٠٨ مقال تحت عنوان « الثورة على حدود الهند الانجليزية » ومقال بتاريخ ٧ مايو تحت عنوان « الثورة في الهند الانجليزية » ومقال بتاريخ ١٤ مايو تحت عنوان « هذا ما يخشاه الانجليز » ومقال بتاريخ ٢٥ مايو تحت عنوان « الغنابل في الهند » .

ولم تقتصر جهود فريد في تكوين الجمعيات السرية على مصر وحدها بل امتد نشاطه الى أوروبا حيث يوجد الطلبة المصريون<sup>(٨٦)</sup> .

٨ — لما كانت محور التنظيمات السياسية تتركز في تنظيم العمال والفلاحين فقد دعا فريد الى تأسيس نقابات للعمال ، ونتيجة لذلك تأسست نقابة عمال الصنائع اليدوية في مصر على يد ابراهيم الورداني والشيخ عبد العزيز جاويش اللذين بذلا جهودا كبيرة في وضع قانون لها<sup>(٨٧)</sup> وعلى غرار هذه النقابة تأسست بعض النقابات في عواصم الأقاليم مثل الاسكندرية والمنصورة وطنطا .

٩ — لم يقتصر جهاد فريد على بث الروح الوطنية داخل مصر بل تخطى حدودها الى الخارج بمقالاته وأحاديثه في الصحف وخطبه في المحافل والمجتمعات ، وأعظم مظهر لذلك هو مؤتمر بروكسل<sup>(٨٨)</sup> .

وهكذا استخدم فريد كافة الوسائل التي شاركه فيها رفيق كفاحه مصطفى كامل وزاد عليها المؤتمرات التي عقدها في أوروبا أو اشترك فيها .

**تضحيات كل من مصطفى كامل وفريد في سبيل مصر**

#### ( ١ ) تضحيات مصطفى كامل :

١ — رغم أن مصطفى كامل قيد اسمه في جدول المحامين ، وقررت لجنة انتخاب المحامين قبوله<sup>(٨٩)</sup> فإنه لم يحترف المحاماة أمام المحاكم ولم يدافع الا عن قضية واحدة وهي قضية مصر<sup>(٩٠)</sup> .

- 
- (٨٦) عصام ضياء الدين : المرجع السابق .  
(٨٧) دار القضاء العالي . وثائق اغتيال بطرس غالي . ملف رقم ( ١ ) استجواب الشيخ عبد العزيز جاويش .  
(٨٨) الراغمي : المرجع السابق ص ١٩١ .  
(٨٩) المؤيد في ٣١ ديسمبر ١٨٩٤ .  
(٩٠) الراغمي : مصطفى كامل ص ٤٥ .

٢ — رغم أن مصطفى كامل كان ضعيف الصحة وفي حاجة إلى الراحة فإنه لم يعط لبذنه حقها من الراحة بل واصل بذل الجهود في سبيل مصر ، وأخذ على عاتقه مهمة إيقاظ الشعور الوطني وبث الدعاية للقضية المصرية في الخارج ورغم ضعف صحته واصل حملاته ضد الاحتلال ولم تغريه باريس بمفاتنتها ، بل كان يقطع شوارعها وحواريها ليلاحق سياسيا قبل أن يترك مكتبه أو خطيبا قبل أن يقف على منصة الخطابة ليشكو إليه أحوال مصر في ظل الاحتلال (٩١) .

٣ — لقد كانت عزيمة مصطفى كامل تعلو كل فشل ، وروحه القوية تسمو فوق كل اخفاق فلم يجزع حين اضطر الانجليز شقيقه على مهمى نتيجة للحملة التي شنوا عليهم مصطفى كامل في أوروبا بل أوضح أنه مهما حارب في شخصه أو شخص أقرب الناس إليه فلا يحول حائل دون جهاده (٩٢) .

٤ — رفض مصطفى كامل عرض السير « كامبل بانرمان » رئيس وزراء بريطانيا تكوين وزارة بمعرفته بقوله « ان وطنيتي تفرض على رفض كل مركز في الحكومة طالما ظل الاحتلال جاثما على صدر مصر (٩٣) » .

٥ — لما علم مصطفى كامل برغبة محمد فريد في تأليف لجنة بقصد عمل اكتاب عام لدعوته الى وليمة وتقديم هدية له بعد جهوده التي بذلها في الخارج من أجل مصر قال ان « خير هدية أقترح عليكم تقديمها للوطن العزيز والأمة المصرية أن تقوم اللجنة التي شكلت بدعوة الأمة كلها وطرق باب كل مصري لتأسيس كلية أهلية تجمع أبناء الفقراء والأغنياء على السواء (٩٤) » .

(٩١) على مهمى كامل : مصطفى كامل في ٣٤ ربيعا ج ٦ ص ١٢٦ .

(٩٢) الرافعى : المرجع السابق ص ٧٣ .

(٩٣) أحمد رشاد : مصطفى كامل حياته وكتابه ص ٣٢٣ .

(٩٤) مذكرات محمد فريد . ملف رقم ( ١ ) خطاب مرسل من مصطفى

كامل الى محمد فريد بتاريخ ٢٤ سبتمبر ١٩٠٦ ص ١٣ .

(ب) توضيحات محمد فريد :

١ — لقد كانت حياة محمد فريد سلسلة من التوضيحات في سبيل مصر فقد ضحى أولاً بالمناصب اذ بدأ حياته السياسية بالاستقالة في وظيفته بعد موقفه الوطنى من قضية التلغراف ثم ضحى بعمله في المحاماه لكى يتفرغ للجهاد كما ضحى بأمواله لمساندة الحركة الوطنية فباع كل ما يملكه من اراض زراعية بعد أن تولى رئاسة الحزب الوطنى (٩٥) .

٢ — رفض محمد فريد الاشتراك في وزارة محمد سعيد بعد أن عرضها عليه بقوله « كيف تطلب منى أن أشارك في حكم البلاد في ظل الاحتلال ، وأنا أجاهد الاحتلال ؟ وكيف يتفق النقيضان (٩٦) ؟ » .

٣ — في أكتوبر ١٩١٠ عقب انتهاء مؤتمر بروكسل قابله بباريس مبعوث من الحكومة الانجليزية يعرض عليه احدى الوزارات ومساعدته ماليا بعد أن تخرج مركزه المسالى ولكن فريد رفض هذا العرض بقوله « ان ضياع ثروتى لا يؤثر على مبادئى ، وانى أرفض أى مركز في الحكومة مادام الانجليز في مصر (٩٧) » .

٤ — لما عرضت عليه الحكومة العثمانية بعض المناصب ، ومنها عميد كلية الحقوق بالامستانة اعتذر حتى يحتفظ باستقلاله في جهاده بقوله « اننى لم أخرج من بلادى للبحث عن وظيفة انما خرجت لخدمتها وسابقتى كذلك حتى أموت (٩٨) » .

---

(٩٥) مذكرات محمد فريد — مطبوع رقم ( ٣٠ ) .

(٩٦) الرافعى : محمد فريد ص ٤٥٤ .

(٩٧) نفسه .

(٩٨) مجلد الهلال ١٩٣٠ مقال للاستاذ طاهر الطنحاني تحت عنوان مثال

البذل والجهاد محمد بك فريد ص ٣٣١ .

٥ — لقد ضحى غريد براحتة وحرثته فاستهدف للسجن والنفي وكان يتلقى المحن والشدائد بكل رضا فكان رجل مبادئ لم يتغير مهما قاسى فى سبيل المحافظة على مبادئه فقد ضحى بثروته من أجل الحركة الوطنية حتى أصبح المسال قليلا معه أثناء تواجده بالمنفى لدرجة أنه أثناء تواجده بالمنفى ركب لأول مرة فى حياته القطار فى الدرجة الثالثة بسبب قلة النقود معه ويتفصح من ذلك قوله « سافرت الى استوكهولم فى الدرجة الثالثة ، وهى أول مرة لى فى هذه الدرجة بسبب قلة النقود » وأقامت هناك اثنى عشر يوما ثم عدت فى الدرجة الثالثة الى أنفر بيسلاد بلجيكا لأن لى بها معارف من أعضاء مؤتمر السلام (٩٩) » .

يضاف الى ذلك أن غريد لم يجد العناية الطبية الكافية عند أصابته بمرض الاستسقاء وذلك لعدم توافر النقود اللازمة لذلك معه .

٦ — ان رشيد غريد عامر بالتفجعية فقد احتمل الفقر وهو ابن الأثرياء (١٠٠) ، واحتمل المرض ولم يجد العناية الطبية لغلة نقوده حتى أنه شاع فى أواخر أيامه التى قضاها فى أوروبا أنه كان يحتطب لكسب قوت يومه ، وأنه كان يلبس بذلة مرقعة (١٠١) .

والواضح أن غريد كان يصله قبل نشوب الحرب الأولى من عائلته مبلغ عشرون جنيها شهريا ، ولكن نشوب الحرب أدى الى انقطاع هذا المبلغ عنه فاشتدت به الضائقة المالية لدرجة أنه رهن بعض ثيابه لدى المرابين اليهود فى ألمانيا (١٠٢) كما أخذ يقتصد فى نفقاته فسكن فى غرفة واحدة ، وكان يتغذى بفرنك واحد ثم يكمل غذاءه بكوز من الذرة المشوى وذلك اقتصادا فى النفقة .

---

(٩٩) مذكرات محمد غريد . ملف ( ١ ) ص ٢١ .

(١٠٠) للتفاصيل انظر : الراعى : محمد غريد ص ٤٥٤ — ٤٥٥ .

(١٠١) مجلد الهلال ١٩٣٠ المجلد السابق ص ٣٣٢ — ٣٣٣ .

(١٠٢) روز اليوسف العدد ١١١٨ فى ١٥ نوفمبر ١٩٤٩ .

وهكذا كانت حياة محمد فريد مثالا في الوطنية والاخلاص والتضحية في سبيل الوطن ، فقد ضحى من أجله بكل ما هو عزيز عند الانسان ، وجعل حياته غداء لوطنه<sup>(١٠٣)</sup> ، ففاض عمره يذكي روح الوطنية في البلاد ، وينفخ في رمادها حتى تأججت نيران ثورة ١٩١٩ •

أوجه الاختلاف بين مصطفى كامل وفريد

١ — مع أن مصطفى كامل اتفق مع محمد فريد في أساسيات حركة الكفاح الوطني فان الظروف السياسية التي لازمتها وبوجه خاص أثناء زعامة كل منهما للحزب الوطني حثمت عليهما اتباع سياسة مخالفة للآخر فمع أن زعامة مصطفى كامل للحركة الوطنية كانت تمثل « المرونة السياسية » فان زعامة محمد فريد كانت تمثل « الصلابة العقائدية »<sup>(١٠٤)</sup> •

لقد كان رشيد مصطفى كامل السياسي يتيح له فرصة استخدام الأسلوب المرن من أجل الوصول الى هدفه فتعمد الابتعاد عن الأساليب الثورية في الكفاح مكتفيا بالاعتماد على الكتابة والخطابة في التشهير بالاحتلال<sup>(١٠٥)</sup> •

أما فريد فقد دفعته ظروف سياسة الوفاق وقلة رصيده السياسي بالإضافة الى الخلافات التي نشبت داخل الحزب الوطني بعد وفاة مصطفى كامل الى التشدد في مواقفه •

٢ — أن محمد فريد لم يرتبط بالخديو بأي روابط مادية ، فلم يحدث أن قدم اليه الخديو أى معاونة مثلما حدث مع مصطفى كامل •

---

(١٠٣) الرامعي : محمد فريد ص ٤٥٧ •

(١٠٤) د. يونان لببيب : المرجع السابق ص ٨٥ •

(١٠٥) على فهمي كامل : المرجع السابق ج ١ ص ٢٢٧ •

٣ — حرص مصطفى كامل على دعم الوحدة الوطنية فضم الى حزبه ريشا واصف وعدد من الأقباط أما فريد فقد وقع تحت تأثير التعصب الاسلامي الذي تزعمه الشيخ عبد العزيز جاويش داخل الحزب الوطني<sup>(١٠٦)</sup> .

٤ — اعتمد مصطفى كامل على الأسلوب الخطابى فى اجتذاب الجماهير بينما اعتمد فريد على تنظيم الحزب الوطنى لادارة أسلوب الكفاح .

٥ — كانت كوادر الحزب الوطنى تحت زعامة مصطفى كامل تعتمد على الطبقة المثقفة فى المدن بينما اهتم فريد بتقوية الحركة العمالية والاهتمام بالعمال والفلاحين حيث انهم القوى الاجتماعية القادرة على مقاومة الاحتلال كما اهتم فريد بمسح فروع الحزب فى الأقاليم حتى تكون له قواعد شعبية فى أنحاء البلاد .

٦ — وافق مصطفى كامل على أن يكون زعيما للحزب الوطنى مدى الحياة بينما اعترض فريد على هذه الفكرة وطالب أن يكون انتخابه لفترة محددة .

٧ — جمع مصطفى كامل بين زعامة الحزب وادارة جرائد الحزب بينما تفرغ فريد لقيادة الحزب وترك ادارة جريدة اللواء للشيخ عبد العزيز جاويش .

٨ — لم يكن فريد خطيبا فى بلاغة مصطفى كامل<sup>(١٠٧)</sup> بل كان دائما ما يتلو خطبه .

٩ — اتصلت أفكار فريد بالتيار الاشتراكى فى أوروبا لذلك بدأ يتجه

(06) Mario We J. Anglo Egyptian Relation P. 201 .

(١٠٧) محمد على علوية : المخطوط السابق ص ٢٨٩ .

بالحركة الوطنية وجهة جديدة وهي محاولة الربط بين حركة المثقفين والطبقة العاملة الناشئة مما كان له أثره في زيادة قوة الحركة الوطنية .

١٠ — اهتم فريد بالعمال الزراعيين وربط الحركة الوطنية في مصر بحركة السلام العالمي بينما لم يهتم مصطفى كامل سوى بالطبقة المثقفة (١٠٩) .

١١ — كان فريد أول من ذكر أن الجلاء عن مصر يعتبر خدمة للسلام العالمي كما ربط قضية استقلال مصر بقضية الاشتراكية الدولية خصوصا بعد أن أرسل لنين رئيس الحكومة الروسية تلغرافا الى عموم العالم يطلب فيه تحرير مصر والهند (١١٠) .

١٢ — تعرض فريد من سلطات الاحتلال ومن الخديو والوزارات القائمة بالحكم الى الاضطهاد وأخذت تنظم له الأسباب الواهية لابعاده عن الحياة العامة ووضعته في السجون بينما لم يتعرض مصطفى كامل لذلك .

وعلى كل حال لقد ضحى كل من مصطفى كامل وفريد من أجل الحركة الوطنية وتعرض كل منهما للمرض وتوفي كل منهما فقيرا معذرا (١١١) .

---

(١٠٨) شهدى عطية الشافعى : تطور الحركة الوطنية المصرية ١٨٨٢ — ١٩٥٦ القاهرة . المطبعة الاولى ١٩٥٧ .

(١٠٩) نفسه ص ٢٣ .

(١١٠) مذكرات محمد فريد . ملف رقم ١٠ ص ٢٦٧ .

(١١١) محمد على علوبه : المخطوط السابق ص ٢٩٠ .